منهج

كيف تتوب؟

البداية

فضيلة الشيخ

هاني حلمي

www.Manhag.Net

أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم



الحمدُ لله وكفى وصل الله وسلم وبارك على النبي المصطفى وآله المُستكملين الشرفَ.

ثم أما بعد،

فأسأل الله تبارك وتعالى أن يتوب علينا توبة يرضى بها عنا.

اللهم تقبل توبتنا، واغسل حوبتنا، وأجب دعوتنا، وثبت حجتنا، واهد قلوبنا، وسدد ألسنتنا.

اللهم واسلل سخائم صدورنا.

اللهم خذ بأيدينا ونواصينا إليك أخذ الكرامِ عليك،

{.. رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَداً} [الكهف:10]

✍ **قالت**: أنا فتاة أبلغ من العمر 22 سنة، كنت فتاةً لاهية بأمور الدنيا وزينتها .. لم أكن أبالي لِمَا أفعل؛ كنت أعيش حياتي كما تعيشها غالب البنات، حتى قدّر الله أن وصلتني رسالة على بريدي الإلكتروني.

ويا الله كيف أحيت هذه الرسالة من معانٍ كنت غافلة عنها تمامًا .. أخذ ضميري يؤنبني كلما تذكرت ما كنت أفعل مما لا يُرضي الله،

فسألت نفسي هل حقق لي ذلك شيئًا من السعادة ؟

لا والله؛ لم أرى في هذه المتع المادية الزائفة أي راحة أو أي منفعة في الدنيا فضلاً عن الآخرة.

ولو سألتم كيف كانت حياتي قبل أن يمن الله عليَّ بالهداية لقلت لكم:

كنت أستيقظ صباحًا وأستعجل في الذهاب إلى الجامعة حتى لا تفوتني المحاضرات لأكون من المتفوقات، في بعض الأحيان كنت أصلي الفجر أما في غالب الأيام – ويا للأسف – كنت لا أصلي.

ثم ماذا بعد ذلك .. أرجع إلى البيت وقد أخذ مني التعب كل مأخذ، فأنام أو أدخل على الإنترنت على العالم الافتراضي فأُضيع أوقاتي فيما لا يُرضي الله .. سواء من أحاديث الدردشة مع الشباب والفتيات في أمور الدنيا، أسأل عن آخر أغنية وما إلى ذلك .. وهكذا يطول الحديث حتى يأتي وقت العصر وأنا لاهية غافلة عن ذكر الله.

وفي بعض الأحيان كنت أذهب للتسوق، ولا تسأل عن ضياع الأوقات كنت عند خروجي ألبس أفضل الملابس وأتعطر، وألبس أحدث الإكسسوارات والذهب ثم أرجع إلى البيت، ومن ثَم أنام، وهكذا كانت تفوتني الصلوات كثيرًا .. يغفر الله لي ما سلف من تقصير.

ولم يكن ذلك عن سوء نية من جانبي ولكنها **الغفلة** .. فأنا لم أكن أقوم بذلك لأني لا أحب الله .. ليس لأني لا أريد طريق الله، فأنا أقوم بذلك كما يعيش كل الناس ....

فنقول: وهكذا كانت تفوتني كثير من الطاعات ليس عن سوء نية من جانبي لكنها الغفلة؛ وكل ذلك بسبب قلة النصح وقلة التوجيه.

✍ **وهنا أوجه لكم نصيحة:** أقول لا تنسوا أيها الآباء وأيتها الأمهات أن عليكم المعول الكبير في صلاح أبنائكم، فأنا ما وجدت أحدًا من أهلي يقول لي أن هذا الذي تفعلينه خطأ، وإنما بالعكس فقد كانت أمي ترى أني مثال للفتاة العصرية ... (أنت عايشة صح يا بنتي ..كما يعيش الناس عيشي)

ولم يكن أحد يتكلم معي إذا لبست كذا أو كذا ..

–بل بالعكس بعض الأمهات تفرح عندما ترى أن ابنتها أصبحت عروسة، البنت في سن الزواج فتفرح بها حتى يروج سوقها وتتزوج –

أليس ذلك يحدث؟!!

تقول: وبدأت في القراءة في أمور ديني وأحسست بشيء من الضيق في قلبي.

انتبهوا فهي تقول أنا بدأت وتقول بدأت في التعرف على أمور ديني ووجدت نفسي منقبضة .. ما هذا.. ؟

تقول: ولا أعرف ماذا يحدث لي بالضبط، الذي كان يحدث لي.

المهم بدأت أقرأ جميع ما يصلني من رسائل عبر البريد الإلكتروني وتأثرت كثيرًا، وأخذت أفكر وأسترجع في ذاكرتي ما كنت أفعل، **وأنبني ضميري فقلت لنفسي هل هذه الحياة ستنفعني في الآخرة؟!!**

كيف أترك الصلاة حتى لا تفوتني أمور الدنيا؛ من محاضرات في الجامعة والتسوق في الحياة و .. و..و .. كيف أقضي عمري في اللهو وفيما لا ينفع ماذا سأستفيد ؟!!

ماذا سيكون مصيري في الدنيا؟! .. وماذا سيكون مصيري في الآخرة؟!!

لاحظوا.. أن البداية دائمًا تكون فكرة.

العلماء عندما رتبوا الطريق قالوا أول شيء **يقظة ..** هو نائم غافل تظل تقول له ...ومن الممكن أن يكون للتو قد استمع لدرس، أو قد شيع جنازة، أو كان في مستشفى يعود مريضًا، وقد يكون للتو قد استمع لقصة شاب مات في سن الصغر أو قد كان للتو قد استمع لبعض المعاني !!! ..

وهو كأنه لم يفعل شيئا من هذه الطاعات ...لماذا؟!! ...

كأنه قد أخذ مخدرًا .. الغفلة تفعل ذلك تخدِّر ..

تجده حيًا، وهو ليس حيًا ... يتكلم وهو معك، وقلبه في موضع آخر .. من هنا..

فبعدها مباشرة يظل يفكر ويقوم بعمل التوازنات والمقارنات ..ماذا بعد؟

فها هو ذلك الشاب قد مات فجأة ماذا حدث ؟ ! كيف ؟!

أحد الشباب كلمني بالأمس، وقال لي: هل تعرف شلة فلان ؟، قلت له: نعم.

فقال لي: شخص منهم لم يبلغ العشرين عامًا قال للشباب: يا شباب نريد أن نتنزه ونذهب إلى شرم الشيخ .. نريد أن نقضي لنا يومان.

فقالوا له: حسنًا، نذهب غدًا في الصباح الباكر، فقال لهم: لا بالعكس أنا أريد أن أسافر ليلاً، سأذهب أنا أولاً وأنتم اتبعوني صباحًا.

ذهب بالسيارة وانقلبت به ومن ثم مات.

القصة مكررة مليون مرة، لكن الفكرة أن الشخص عندما ينظر حوله يجد أن فلانًا هذا كان عاديًا كسائر الشباب ... سيذهب إلى شرم ومن ثَم سيقضي يومان مثل آلاف الشباب .. لماذا هو بالذات؟!!

وياترى كيف مات ؟!! وياترى ماذا كان في عقله ؟!! وياترى هل تلك حسن خاتمة أم سوء خاتمة؟

وياترى هل أنا كنت سأموت معه في نفس الطريق؟!، ومن كانوا المفترض أن يكونوا معه الذين أراد أن يغصب عليهم ثم قال لهم لا لا الصبح لا ..أنا كان من المفترض أن أكون معه في السيارة يعني هذا كان سيكون نفس مصيري .. من الواضح أنها ليست لعبة فالموضوع حقًا كبير وخطير..

هل من الممكن أنا وأنت إلا نبلّغ رمضان هذا العام ؟!!

أنا وضعت آمال وطموحات على رمضان هذا العام .. هل من الممكن ألا أبلغ رمضان ؟!!

هل من الممكن أن أموت في عز الشباب ؟!! ممكن؟!! .. هو هذا ..هذه الفكرة ..

هل لك بأن تقول لي لماذا تستبعد تلك الفكرة لو سمحت؟

بالله عليك، أعطني صك الأمان الذي تمسكه؛ لأني أريد شراءه بدم قلبي ..نعم أعطيني صك الأمان الذي يقول أني سيأتي علي نهار آخر وأني سأعيش في الدنيا حتى كذا .. أعطيني ذلك الصك !!

هل أحد منا يستطيع أن يقول ذلك ؟!

فنحن مثلهم .. هؤلاء الشباب مثلنا مثلهم .. لماذا تشعر بأن لازال هناك وقتًا على الموت ؟

المصير، الجنة والنار .. الموضوع ليس مزاحًا .. هذا هو ما يحدث.

تقول: فعندما فكرت في مصيري وجدت أنه علي أن أترك ما كنت أفعله في الماضي.

بالفعل بدأت أترك الأمور الخاطئة وصرت أتجنبها، وأول البداية بدأت أحافظ على جميع الصلوات في وقتها، وكنت لا أتأخر عن أي صلاة.

ودائمًا نقول هكذا رتب أولوياتك بخطوات.

في البداية أنت تحتاج ما ينبهك .. أظل أقول لك الأشياء التي من الممكن أن تنبهك ونتدارسها الليلة معًا .. ثم تفكر كما قلت لك، ومن ثم أريد أعمال.

ماذا تقول المعادلة ؟ **رغبة**.. كيف تتولد عندك الرغبة ؟ بما سنذكره لك .. لابد أن يكون هناك رغبة، وتلك الرغبة تقوم بالإفاقة ..

وبعد ذلك لابد أن يكون هناك **فكرة**.. لابد أن أفكر في المآل والمصير وماذا سأفعل ؟ وبعد ذلك تأتي مرحلة **العمل**.

بماذا سأبدأ؟ .. تبدأ بشيء يسير .. فأنا لا أريدك أن تبدأ بشدة .. فلن تكون كصحابي من الصحابة من البداية، ولن تصل إلى درجات الولاية.

أنا أريدك أن تبدأ الطريق خطوة خطوة ويدي بيدك.

نبدأ بالاستغفار .. هذا هو القانون {وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ} [هود:3]

ابدأ بالاستغفار، استغفر كثيرًا "**طوبى لمن وجد في صحيفته استغفارا كثيرا** " [صححه الألباني في صحيح الجامع(3930)]

وابدأ في **تجديد التوبة** ..كيف؟ .. بتحقيق الشروط.

اندم .. عاهد الله على ألا تفعل كذا .. ولا أفعل كذا .. ولا أفعل كذا ..

وسأقلع عن الذنب؛ والله الذي لا إله غيره ..والله لن يعود أحد منا لهذا الذنب أبدًا .. والله لن أفعله.

يوجد عزيمة على أن تتوب لله من هذا، وتبدأ في رد المظالم إن وجدت.

إذًا استغفار وتوبة.

ومن أهم الأعمال التي نبدأ بها:: **إقامة الصلوات.**

إذًا الصلاة على وقتها .. أقم صلاة الفجر خصوصًا، وبالطبع باقي الصلوات.

الجماعة المتخصصون في علم الإدارة والتنمية البشرية يتكلمون على **أن العادة الواحدة تأخذ من 14 إلى 21 يوم حتى تتغير.**

فأنا تعودت على النوم متأخرًا، تعودت على كذا .. أريدك أن تضع برنامجًا جديدًا ومن المؤكد أنك ستتعب خلال هذه الفترة.

معنى ذلك أنه عندما يدخل علي ذلك الوقت من الاستعداد لرمضان – اللهم بلغنا رمضان – سبب يجعلني أتغير في هذا الزمان الشريف، سأغير مجموعة من العادات الخاطئة.

استغفار، توبة، ابدأ بالصلوات.

وذلك ما قالته تلك الأخت: بدأت بالصلاة بألا أتأخر عنها حتى لو فاتتني المحاضرات أو حتى ماذا حدث، ثم عاهدت نفسي بأن أسير في الطريق الصحيح وأن أترك متاع الدنيا وأن أنتبه إلى عمري وإلى السنوات التي ضاعت بلا فائدة ... والآن ولله الحمد جميع صلواتي في وقتها وأحافظ على قراءة القرآن.

وابتعدت ..– **انظر إلى هذا السلم أنا ذكرت قصتها لذلك** – وابتعدت عن كل ما يلهيني، وتركت سماع الأغاني، والذهاب إلى الأسواق بطريقة مستمرة، وتخليت عما كنت ألبس من ملابس لا تمت لزي المرأة المسلمة بصلة.

وصرت الآن أمضي في الطريق الصواب .. الطريق الصحيح إلى الله تبارك وتعالى.

غالبنا يشتكي ويقول: أنا على ذنب، ولا أعرف كيف أتخلص منه وأتوب منه ...كلما عملت ذلك الذنب ومن ثم أتوب منه شهر أو شهرين أعود له مرة ثانية.

أنا غير مواظب على الصلوات، أنا أفعل بعض المنكرات، أسمع محرمات، أنظر إلى محرمات، ارتكبت بعض الفواحش، أنا أرتكب ذنوب الخلوات، أنا أقوم بالعادة السيئة..

أنا لا أعلم ماذا أفعل فعملي به شبهات ومالي به شبهات، لكن ما العمل فليس عندي عمل آخر؟!

ذلك لسان كل منا، وليس لسان مجموعة من الناس .. بل لسان الكل.

فكما اتفقنا أن وظيفة الواحد منا هي **التوبة**؛ فبالتالي لابد أن تعرف أن الكل خطَّاء ولابد أن تعرف أن هذا لا يخلو منه أحد ..

{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} [النور:31]

لذلك ابدأ بنفسية مختلفة، ابدأ معي خطوات البرنامج العملي للتوبة بنفسية مختلفة.

تعال لأعلمك فنحن ظللنا على مدى المحاضرات السابقة نتكلم عن مجموعة من الخطوات العملية التي بها نصل إلى مرحلة التوبة واليوم سنكملها.

برنامج عملي للتوبة

سنضع برنامج عملي للتوبة مجمل .. أول شيء نحتاجه استشعر وعش هذه المشاهد الثلاث ... ثلاث أشياء فكر فيهم معي ... مع بعض خطوة بخطوة فكر في الثلاث أشياء.

أول أمر فكر في هذه المعاني: {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى} [العلق:14]

مرة أخرى {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}

السؤال: الله عزَّ وجلَّ يوجه لنا ذلك السؤال ..

هل تعرف أن الله يراك؟ .. هل تعرف أن الله مطلع عليك؟

يا أخي أيهون عليك الله هكذا ؟

بالله عليك انظر إلى هذا الحديث القدسي الذي يفطر القلب "عبدي لا تباعد مني "

الله يقول لك لماذا تريد البعد عني ؟ ما الشيء السيء الذي فعلته بك ؟

فكل ما أنت فيه من خير من قِبَل ربك.

"يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ قلبك غنى وأملأ يدك رزقًا، يا ابن آدم لا تباعد مني أملأ قلبك فقرًا وأملأ يدك شغلاً" [رواه الحاكم وصححه الألباني، صحيح الترغيب (3165)]

عبدي لا تباعد مني .. أملأ قلبك غنى وأَسُدُّ فقرك .. فالمعنى عندما يقول لك "لا يكن الله أهون الناظرين إليك "

أجب، استيقظ، كررها وأجرها على قلبك، وأقف معها قليلاً، ولا تغفل عن تلك المعاني.

عش معي ذلك الإحساس {أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى}

عش معي إحساس {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} [غافر:19]

هل ينفع أن تسمى عنده خائن؟!

هل ينفع أن ينظر إلى قلبك فلا يجد حبه في قلبك على الوجه المطلوب والمرجو؟!

يجدك تحب أشياء كثيرة وأهمها وأخطرها "نفسك" و"شهواتك" .. تحب المرأة، وتحب النظر، وتحب أن تعيش، وتحب أن تقضي شبابك .. وتفهم مع ذلك أنك عندما تحبه لن تنال كل ذلك.

لماذا تسيء الظن به؟

بالله عليك أليس هو الرزاق .. أليست السعادة رزق ؟

لماذا تفهم "فإن الله تعالى لا ينال ما عنده – من الرزق – إلا بطاعته" [صحيح الجامع (2085)] بشكل خاطيء ؟

يزين لك الشيطان الأعمال السيئة ويصدك عن السبيل، وتنخدع كل مرة بمكياج إبليس الذي يضعه على الشيء السيء ليجعله حسنًا.

عش إحساس إجلال الله، نظر الله، واستحيي من الله.

انظر إلى النبي ﷺ وعشها معي بنفس هذا الإحساس .. كأن النبي ﷺ يقول لنا: لوسمحت هل من الممكن أن....

الحديث عند البزار وصححه الألباني يقول "استحيي من الله استحياءك رجلاً من أهلك" [السلسلة الصحيحة (3559)]

– مقام الله أعظم وأجل فكيف كرجل من أهلي؟!! .. هل تقوم بعمل مقارنة ؟!!، نقول لك تَنَزُّلاً ..فلو أن شخصا من الناس تقدره، قدر الله كما تقدر ذلك الشخص .. يا أخي "استحيي من الله استحيائك رجلاً من أهلك "

انظر أنت أمام من تستحي أن تفعل ذلك الذنب ؟

مثلاً هل يستطيع شخص أن يشاهد فيلم إباحي في منتصف الليل، ثم تدخل عليه زوجته وهو يشاهد ذلك الفيلم ويكون متلبسًا بتلك التهمة (الذنب)..

أو ولد يشاهده أبيه الذي يغرقه من الخير والذي قام بشراء "اللاب توب" له ليذاكر عليه وهو يعرف أنه يسهر ليلاً للمذاكرة .. ما رأيك حين يدخل عليه فجأة ؟.. بالطبع سيستحي وسيتيغير لون وجهه ويحمر ويخضر ويصفر .. ماذا سيكون منظره ؟

فمابالك بربِّ العالمين المطّلع عليك .. كيف ستريه وجهك؟!!

أول مشهد: مشهد الإجلال ..مشهد المراقبة .. مشهد الحياء من الله عز وجل.

المشهد الثاني –تفكَّر معي – : **مشهد حبه.**

هل تحبه ؟.. ما الدليل ؟

فكلنا نحبه لكن الموضوع هنا نسبي والناس مختلفون في مقدار الحب .. نريد أن نخرج من ذلك الدرس وقد سكبنا في القلب القليل من المعاني التي تجعلك تحبه جدًا.

أكثر شيء تستحضر به القلب أن **تستشعر نعمه.**

واليوم أنا لو أعطيتك هدية من باب **"تهادوا تحابوا"** [حسنه الألباني، صحيح الجامع (3004)]

فأعطيتك هدية حلوة وأنت غير متخيل أن أعطيك مثلاً هدية (لاب توب) .. ولم تتخيل أن يحدث لك مثل هذا، فينعقد لسانك من الشكر .. تقول: جزاك الله خيرًا .. أنا لا أعرف ماذا أقول لك ... هو نفس المعنى ..

تريد أن تحبه جدًا، إذًا استشعر نعمه عليك.

وعش معي نفس المعنى، فهو من أعطاك النعم ولكنك لا تشعر بذلك.

كما يقول مثلاً الأب لابنه: يا بني والله العظيم أنا تعبت كثيرًا لأجلك، أنا كنت أضع جنيهًا فوق الآخر وأدخر حتى أستطيع أن ألحقك بتلك المدرسة ولتلتحق بمدرسة خاصة وحتى لا تلتحق بمدرسة كثافة الفصل بها 80 أو 90 طالب، ولم يكن معي ولكن جمعت ذلك المال لأجلك، وعندما ألحقتك بكلية كان لأجلك

ولكن الابن يقول : ما المشكلة في ذلك فكل الآباء يقومون بذلك هل تُمن علي ؟

نفس الأمر فنحن نفعل مثل ذلك مع الله عز وجل.

عندما يقول الأب لابنه: يا بني، تذكر لي أي شيء جيد .. مثل ذلك ..

فالله عز وجل يقول لنا {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ..} [فاطر:3]

هل أعطاك أحد رزقًا غير الله ؟!

{هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاء وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ}

إذًا لماذا لاتريدون محبته ؟ .. لماذا تشركوا بالله وتعصوا الله؟ لماذا؟

اسمع والله يقول لك {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم...} [الأنعام:46]

ماذا حدث؟ .. مثلاً شخص ابتلي ببلاء ففقد منه عينه، وذهبت أذنه فأصبح لا يسمع ولا يرى .. هل من أحد يرد عليك ذلك إلا الله ؟!

فيقول الله {..مَّنْ إِلَـهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُم بِهِ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ}[الأنعام:46]

وهم لا زالوا غافلين وشاردين.

عندما يقول لك الله سبحانه وتعالى تلك المعاني، فيسألك سؤالاً يفطر القلب فيقول:

{رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} [مريم:65]

هل من أحد مثله ؟! .. إذًا لماذا أحيانًا تفضل عليه الناس ؟

لماذا أحيانًا تفضل نفسك عليه ؟ لماذا أنت بعيد عنه ؟

"عبدي لا تباعد مني"

فاستَشْعِر مقام حبه ومشهد حبه، بأنك تتذكر النعم.

فالنبي ﷺ علمنا ذلك المشهد وذلك الإحساس فقال "يؤتى بالعبد يوم القيامة، فيقال: له ألم أجعل لك سمعًا؟ _ألم يجعل لك عينين ولسانًا وشفتين؟ – ألم أجعل لك مالاً وولدًا؟، وسخرت لك الأنعام والحرث؟ – ورزقتك بالمنزل والسيارة والزوجة و..و...– وتركتك ترأس وتربع؟ –وأصبح عندك تلك الدنيا– فكنت تظن أنك ملاقي –فهل تذكرتني بعد ذلك – يومك هذا فيقول العبد: لا. فيقول الله: اليوم أنساك كما نسيتني " [صحيح الجامع (7997)]

{نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ } [الحشر:19]

فكِّر حتى تشعر بالنعمة، فتحبه .. فهذا هو مشهد الحب .. فقد كان أو مشهد تعظيمه والحياء منه.

المشهد الثاني : استشعر نعمه حتى تحبه.

انظر لأهل البلاء وأنت ستحبه ..

أنا قُدِّر لي في العمرة الأخيرة أن ألتقي بأحد الدعاة إلى الله عزَّ وجلَّ، وقصته معروفة ومن لا يعرف قصته بإمكانه مشاهدتها على (اليوتيوب) .. أخ اسمه **الشيخ عبد الله با نعمة.**

قصة الشيخ عبد الله با نعمة

قصته أنه شاب عادي يعيش بطيش، ثم في وقت من الأوقات شاهده أبوه وهو يشرب سجائر فدعى عليه إن شرب سجائر مرة أخرى، فيقول: فذهبنا لمعسكر وكان به حمام للسباحة فطرأ على ذهني أن

أشرب سجاير ونسيت دعوة أبي، فشربت وبعدها نزلت إلى حمام السباحة .. فضربت رأسه في قعر الحمام فشُل شلل تام.

ذلك الداعية لا يستطيع القيام بشيء سوى تحريك الرأس، فجسمه كله مشلول.

أنا أريدك أن تفهم كيف يخرج منه– ذلك الداعية – الكلام، وقلبك ينفطر عندما تسمع منه، وكيف هو راض عن الله.

سألوه ما أعظم أمانيك؟ .. بالطبع أنت تتصور أن أمنيته أن يعود معافى ..

لكنه قال 3 أشياء: سجدة ومصحف وضمة أمي.

فلا أستطيع ضم أمي .. تلك هي أعظم أمنياته الآن.

أن يسجد: فهو الآن لا يستطيع السجود فهو يصلي برأسه .. وأن يستطيع مسك المصحف .. وأن يستطيع ضم أمه.

فلو رأيته ستتعلم معاني عن بر الوالدين، ستتعلم معاني عن الرضا، تتعلم ماهي النعمة، وستخرج من عنده وأنت بقلب جديد.

فملاحظة أهل البلاء تساعد الإنسان على تذكر النعم.

أريدك أن تستشعر ذلك الإحساس، إحساس حلمه عليك .. إحساس تستطيع ترجمته بآيه..

تسأل نفسك – كما ذكرت لك من قبل – :

{ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا} و {هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم}

اسأل نفسك تلك الآية: {مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ} [الانفطار:6]

وتخيَّل ربك وهو يقول لك: متى جئتني قبلتك، إن أتيتني ليلاً قبلتك، إن أتيتني نهارًا قبلتك.

" ومن تقرب مني شبرًا تقربت منه ذراعًا، ومن تقرب مني ذراعًا تقربت منه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة، ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئًا لقيته بمثلها مغفرة" [رواه مسلم]

و"لو أتيتني بقراب الأرض – بملء الأرض– خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا، لأتيتك بقرابها مغفرة " [حسنه الألباني في السلسلة الصحيحة(127)]

"لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي"[نفس الحديث قبله].

يا عبدي لم تبارزني بالمعاصي، وأنا أحفظك على فراشك ؟!!

" إني والجن والإنس في نبأ عظيم؛ أخلق ويعبد غيري، أرزق ويشكر سواي" [ضعفه الألباني في ضعيف الجامع(4048)]

خيري إلى العباد نازل، وشرهم إلي صاعد، أتحبب إليهم بالنعم وأنا الغني عنهم ويتبغضون إلى بالمعاصي وهم أفقر شيء إلي،،

فما تقول يا مسكين، يا محروم من قرب رب العالمين؟؟

فعندما تعيش تلك المعاني ستجد قلبك يدق ويتحرك، وتبدأ بالشعور بأنك تريد الإقبال على الله عزَّ وجلَّ.

المشهد الأول : حياء وإجلال.

المشهد الثاني : حب.

المشهد الثالث : الغضب.

استشعر {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ* وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمَ} [الحجر:50/49]

لو غضب الله عليك ماذا ستفعل؟

لو نظر إليك نظرة الغضب، فلربما يتساقط لحم وجهك في عرصات الموقف يوم الحساب .. لو غضب عليك غضبة، فإنه يومها يغضب غضبة لم يغضب مثلها لا قبلها ولا يغضب بعدها مثلها.

لو غضب عليك فما العمل ؟ .. لو صرت مبعدًا عنه؟

بعض العلماء يقولون معنى جميل جدًا في لماذا رسول الله ﷺ قال "شيبتني هود وأخواتها" [صححه الألباني في صحيح الجامع (3720)] .. بعض أهل العلم كالشيخ الألباني حسَّن هذا الحديث.

البعض قال أنه شاب بسبب آية {فَاسْتَقِمْ ..}[هود: 112] آية الاستقامة تشيب، والبعض قال لأن بها آية {كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَا أَلاَ بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ} [هود:95]

قالوا {أَلاَ بُعْدًا} عندما سمع البُعاد .. عندما سمع أنه من الممكن أن يكون بعيدًا عن الله عزَّ وجلَّ .. وأنه من الممكن أن يوضع في ذلك العذاب شاب.

{أَلاَ بُعْدًا}

أما لو غضب الله عزَّ وجلَّ عليك، هل أنت على قدر غضبه أو ستتحمل غضبه ؟

لو اطلع عليك ووجدك تذنب ذنبًا سيئًا جدًا، تصوَّر لو غضب عليك تلك الغضبة ..

لو أن الله غاضبٌ عليك في السماء، وأنت جالس تقهقه وتضحك وبملأ الفم غير مبال ..

فقل لي بالله عليك– ولله المثل الأعلى – عش نفس المعنى .. ابن عاق وجالس يقول أبي غير منتبه لي، أنا كذبت عليه وأخذت منها المال .. ويقول ذلك وهو يضحك وغير مبالي، وأبوه في ذلك كان قد ركب له كاميرا لمراقبته وسمع كلامه وضحكه وكأن الأب ولا كأنه قدم له شيئًا.

ثم بعد ذلك يقول الأب للإبن تعال يا حبيبي ويشغل له الفيلم المسجل الذي كان يراقبه به صوت وصورة.

{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا..} [الكهف:49]

ما رأيك ماذا ستفعل حينها؟ .. فكل ذلك مسجَّل بالصوت والصورة، ولن تستطيع أن تقول أن ذلك تركيب .. فماذا ستفعل ؟

يا لحياءك حين تلاقي ربك بهذه الذنوب.

ألا تخشى من بطشه؟ .. {إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ} [البروج:12]

ألا تخاف ؟

فإما أن قلبك سيأتي **بالحب** .. أو **بالخوف من غضب الله سبحانه وتعالى** .. أو سيأتي قلبك **بالحياء وبتعظيم أوامر الله سبحانه وتعالى.**

تلك هي الخطوة الأولى .

أما الخطوة الثانية : النفس.

يعني أنت تقول أنا حقًا أريد أن أتوب، وأنا تعبت ومللت من حياتي، فكفى نكد وكفى بُعد، وكفى حرمان .. أنا سأتوب..

هنا تظهر لك النفس وتقول لك (ستتوب إذًا لن تستطيع أن تعيش، فأنت لك نظام حياة تعيش عليه من مدة، واترك شغل الدروشة الذي حدث لك بعد سماع كلمتين، جميع الناس بنفس الحال يأتي عليهم يومان تعلو همتهم بسبب مثلاً موت شخص، فهو الآن متأثر ويتذكَّر الآخرة وبعد قليل سيتذكَّر الدنيا) .. هذا هو حال النفس.

إذًا، ماذا نحتاج مع النفس؟

نحتاج مجاهدة وصبر عن المعصية.

كيف صبر عن المعصية؟ .. أنا الآن أتكلم معك بخطوات عملية، فأولاً ذكرت لك ثلاث مشاهد وتلك الخطوة الأولى .. أما الخطوة الثانية؛ أريدك أن تعش معنيين حتى تقول لنفسك اصبري وتجاهد نفسك.

فمثلاً النفس ستقول لك افعل كذا، فأنت سترد عليها بأن تُصبرها تقول: بعد قليل .. ليس الآن .. بعد يومين .. بمعنى أنك تسوِّف المعاصي.

فهم قالوا أن الشيئين الذين تحتاجهما لتحقق ذلك المعنى ..

أول معنى: أن تشهد معنى فوات الإيمان.

"فالإيمان يزيد وينقص؛ يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية "

فما تقوم ببناءه يُهدم .. { كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ } [النحل:92]

كامرأة تمسك شغل التريكو وشَرُفَت على الانتهاء حتى أصبح ما تشغله بيدها جاهز للاستخدام، فقامت بنقض ما قامت بغزله .. هو هذا إياك وشد الخيط.

هو هذا المعنى .. فوات الإيمان؛ لماذا ما تقوم ببناءه تجعله يضيع ؟

فمثلاً أنت الآن تحضر درسًا، وإن شاء الله تحفنا الملائكة وتتنزل علينا السكينة، ومن الممكن أن يكتب لنا الأجر أضعاف أضعاف ما تتصور، والحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والله يضاعف لمن يشاء.

فالآن أنت لك رصيد فلماذا عندما تذهب إلى المنزل تشاهد كذا أو تفعل كذا ..

بذلك ستضيع ما قمت ببناءه .. شغّل عقلك ..

(فوات الإيمان)

لذا النبي محمد ﷺ استحثنا في تلك المعاني قائلاً " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" [رواه البخاري في صحيحه(2475)] .. إيمانه بذلك يضيع .. فكل ما قمت ببناءه قمت بعد ذلك بهدمه.

تعرفون قصة الرجل الذي عبد الله عزَّ وجلَّ سنين طوال، ثم جاءه الشيطان فإذا به يُلَبِّس عليه .. فأرسل له امرأة تسأله سؤالاً، وهو جالس في صومعته ولا يخرج منها ويتكلم من وراء ستار.

فوسوس إليه الشيطان بأن اخرج لتلك المرأة فهي فقيرة وتحتاج من يساعدها، أهذا هو الدين ألا تخرج لمساعدتها ؟!! أهذا ما تعلمته وأهذا آخر العبادة، اخرج لتراها وتعرف ما تحتاج له فهي مريضة .. فما زال به حتى أخرجه.

وبالفعل خرج ونظر إليها فأوقعها الشيطان في قلبه، ومن ثم استحسنها، ثم قال له الشيطان أن يذهب إليها ليعطيها الدواء بنفسه، ثم ذهب لرؤيتها وعادها في مرضها .. إلى أن وقع معها في الفاحشة.

فجاء بعد ذلك وأخذ يمشي في الطرقات هائمًا.. أَزَنيت؟!! كيف زنيت؟!!!

إلى أن بلغ به المكان في الليل في رفقة وكان جائعًا، فنظر فوجد أناس جالسين فجلس وسطهم، ومن ثم يأتي أميرهم لهم ليلاً ويعطي كل واحد منهم طعامه.

فذلك الرجل أعطى كل واحد منهم رغيفًا، والجو ليلاً وظلام، وهو يجلس في الوسط، والرجل يعرف أن الموجودين مثلاً 7 فوزع عليهم.

فبالتالي هناك شخص لم يأخذ رغيفًا.

فالذي لم يأخذ الرغيف ظل يقول أين رغيفي؟ أنا لم آخذ شيء اليوم .. فأعطاه الخبز، أعطاه الرغيف على الرغم أنه كان في شدة الاحتياج له .. ثم بعد ذلك نام ورأى في منامه أن أعماله حُسبت.

كان عابدًا لله 70 سنة فوضعت تلك العبادة في كفة ووضع زناه في كفة، فرجح زناه .. ثم وضع الرغيف في كفة، فرجح الرغيف .. انظروا ماذا يفعل الزنا!!

فعندما وضع الزنا مقابل العبادة أضاعت 70 سنة عبادة، ولكن {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ } [هود:114]

فعندما استدرك أمره، عاد إليه الخير مرة أخرى.

الفكرة أن القصة تقول ترغيب وترهيب، خوف ورجاء .. من الممكن خطأ واحد تدفع به دم قلبك، وحسنة تصعد بك إلى أعلى .. هل فهمتم ؟

أول شيء: مشهد فوات الإيمان.

ثانيًا: استشعار العِوَض.

قالوا في بعض الآثار: أن من نظر إلى امرأة فغض طرفه عنها، أبدله الله عزَّ وجلَّ بحلاوة يجد أثرها في قلبه .. ذكر هذا الإمام ابن القيم في (الداء والدواء) ولا يصح عن النبي محمد ﷺ مرفوعًا.

نحن عندنا العوض فـ "من ترك شيئًا لله، عوضه الله خيرًا منه " [قال الألباني إسناده صحيح في حجاب المرأة المسلمة(49)]

كن لله كما يريد، يكن لك فوق ما تريد.

فعندما تقول: لا مشكلة في أن ذلك الأمر يفوتني في الدنيا، ولكني أرجو ثوابه في الجنة.

بالأمس كنت أشرح سيرة سيدنا **عثمان بن مظعون**، ففي قصته مشهد ينفع أن نستشهد به هنا.

أن المشركين ذات مرة اجتمعوا عليه وقاموا بضربه إلى أن فقد إحدى عينيه، فقال مخاطبًا عينه الصحيحة (وإن عيني الصحيحة لفقيرةٌ إلى ما أصاب تلك) .. فالصحيحة محتاجة أن تكون مثل الأخرى وليس العكس؛ وذلك لأجرها.

لأن العين الصحيحة ستأخذ أجر ما جرى لها، أما الأخرى فقد ترى بها شيئا سيئًا .. أرأيتم كيف يفكرون ؟

فنحن نفكر بطريقة وهؤلاء يفكرون بطريقة أخرى، قال (حلاوة أجرها أنستني مصابها) .. نسيت بها الدنيا ..

مثلاً، عندما تحدثك نفسك بهل تحرم نفسك من الحور العين ؟!! .. ألا تعلم من هن الحور العين ؟

"من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة، إلا أن يتوب " [رواه مسلم في صحيحه(2003)].

حتى لا يأت من يقول أنا شربت خمرًا أو تعاطيت مخدرات .. تاب .. إذًا ذنب تاب الله عليك منه، كذنبٍ لم يكن.

إذًا الخطوة الثانية: مجاهدة النفس والصبر على المعصية.

يتحقق بـ:

1) ألا يفوتك الدين والإيمان.

2) أن تعرف أن الله عزَّ وجلَّ سيعوضك دنيا وآخرة.

3) اغلق الأبواب أمام المعاصي.

فلا يصح أن يكون تائبًا، ويقول لك: حتى الآن أرقام أصدقائي – أصدقاء السوء- لازالت معي، ويقول لك: هم أحبابي، وأريد أن أكون سببًا في هدايتهم .. لا ذلك لا يصح فذلك من مداخل الشيطان؛ لأنك لن تستطيع هدايتهم لأنك لازلت في البداية.

الأمر أنك تشعر ببعض الضغط، ولسان حالك ليس كل ماكنت أفعله كان خطأ .. تقول: اذهب معهم ولكن لن أفعل شيئا خطأ .. لا زالت النفس تجذبك.

فلا يصح أن يكون لك رفقة سيئة، وتقول أنك تتوب.

لا يصح أن يكون لديك مخلفات المعاصي؛ فلازال لديك الفيلم والكليب والأغنية والواصلة التي تشاهد من خلالها كذا و..و..و.. ومن ثم تقول أنك تبت!! أنت بذلك تضحك على نفسك.

تريد أن تتوب اغلق الأبواب أمام المعاصي؛ لأننا كلنا بلا شك ضعفاء أمام المعاصي.

بنص قول الله تبارك وتعالى: { وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا} [النساء:28]

وحديث القاتل مائة نفس؛ فالرجل قال له اترك تلك البيئة .. فبيئة قُتِل بها 99 إذًا هؤلاء الناس جبناء أو مقرة بالفساد، من يقتل يُقتَل لا مشكلة .. فلا ينفع المكوث مع هؤلاء.

إذًا لابد في الخطوة الثالثة: أن تُغلق أبواب المعاصي أمامك.

4) غيِّر طريقة تفكيرك.

هناك من يقولون: أنا أعمل ذنوب سيئة، فأنا بذلك لن أصلي، أنا بذلك عار على المصلين!

وذلك تجده كثيرًا مع الفتيات؛ تقول لها: ارتدي الحجاب، ترد عليك: بأن تصرفاتي وأخلاقي وسلوكياتي لا تمت للمحجبات بصلة، فحتى لا أكون عارًا على المحجبات.

وأنت يا أخي تسنن بسنة النبي ﷺ في هيئته ووصفه وسلوكه وأخلاقه و..و..

ذلك الأخ يرد عليك بلا لا ..أنا بذلك سأكون عارًا على الناس الملتزمة، فلا داعي.

تلك أيضًا حيلة من حيل إبليس، التي أريدك أن تغيِّر وتبرمج عقلك بطريقة مختلفة.

الطريقة الربانية الرحمانية: {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ }

يعني عندما تخبرني أنت اليوم أنك ستبدأ الصلاة من أول رمضان، سأصلي الفجر بإذن الله من أول رمضان .. أنا من أول رمضان سأفعل كذا .. لماذا لا تبدأ اليوم بأن تصلي صلاة العشاء حتى لا تكتب عليك؟ .. تقول لا، لما أكون على قدر الصلاة.

لا يوجد شيء اسمه على قدرها، لا يوجد أحد على قدر شيء، فكل شيء بحول الله وقوته .. فكل ما تراه بعون الله ليس إلا.

إذًا، غيِّر طريقة تفكيرك.

فالجماعة الذين يقولون تلك الشبهة، نرد عليهم بـ {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ }

لو تعمل معاصي سأقول لك أنت كم على عشرة عند ربنا؟

كم؟ 2، 3، 4، 5، 6 .. كم؟ قل ما تريد.

افترضنا أنك 6 من10 أو 5 من 10، ثم عملت ذنبًا فصرت مثلاً 4 من 10 .. ثم عملت طاعة حينها من الممكن أن تعود لـ5 من10 .. {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ }

فإذا عملت سيئة، فاعمل بجانبها حسنة كما علمتك.

الخطوة الرابعة: غير طريقة تفكيرك.

وخذ معي تلك القاعدة.

قلنا {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّـيِّئَاتِ }

ضع هذه القاعدة أمام عينيك، قال أهل العلم:

(ترك الأوامر أعظم من ارتكاب النواهي)

عكس ما تفكِّر.

ترك الأوامر: يعني الله عزَّ وجلَّ أمرك بالصلاة، فتركك لها أعظم من أن تقع في محظور.

مثلاً الله عزَّ وجلَّ نهانا عن إطلاق البصر، فكونك تترك هذا الأمر أعظم من وقوعك في شيء نُهي عنه.

أنت تقول العكس: تقول أنا الآن أفعل أمور سيئة فلا يصح أن أعمل معها أمور حسنة .. لذلك أقول لك غير طريقة تفكيرك.

الاستدلال على هذا المعنى؛ في الحديث الذي في الصحيحين " بينما كلب يطيف بركية –أي عند بئر – كاد يقتله العطش – يحوم لا يستطيع الشرب وإن شرب من البئر سيسقط به يموت، فيحوم حوله– إذ رأته بغي من بغايا بني إسرائيل – امرأة زانية عاهرة فاجرة – فنزعت نوقها – أي خُفَها – فاستقت له به فسقته إياه فغُفِر له به " [رواه البخاري في صحيحه(3467)]

ماذا عملت تلك المرأة ؟ هي البغي ؟

تعمل محذورات سيئة جدًا، ومع ذلك لما في قلبها من الرحمة سقت الكلب فغُفِر لها بذلك.

قال ابن القيم معلقًا: (فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد في قلبها – هي بذلك موحِّدة " ارحم تُرحم " .. بذلك هي تعلم ما معنى الرحيم الرحمن، فقلبها فيه الرحمة هذه – فأحرقت أنوار هذا القدر من التوحيد في قلبها ما تقدم من الزنا .. من البِغاء فغُفِر لها)

إذًا أنت من الممكن أن تعمل عملاً كبيرًا يتسبب في ذلك، فنحن عندما نقول ذلك الكلام سيقول لك أناس إذًا الأمر سهل جدًا؛ كلما قمت بعمل ذنب كبير سأقوم بعمل حسنة وطاعة كبيرة كحج، صوم يوم عرفة بتكفير سنتين، أصوم رمضان .. العملية سهلة عمرة .. حج .. صدقة ..

ذلك يتعامل مع الله بمبدأ: ماذا تريد مني يارب؟ تريد كذا ..إذًا سأقوم به.. هذه أمام هذه .. وفي نفس الوقت عندما أقوم بعمل سيئة: اغفره لي يارب .. هل تفغر ذلك الذنب يارب بصدقة؟ إذًا ها هي صدقة .. هؤلاء ناس ذلك تفكيرهم.

شخص كان يقوم بعمل العادة السيئة وفي كل مرة يتصدق بخمسين جنيه.

ففي كل شهر يحسبها كم مرة ارتكبت ذلك الذنب في 50 إذًا كذا .. هو معه مال فلا تفرق عنده، كم مرة فعلها؟ عشرين مرة إذًا ألف جنيه .. انتهى الأمر ..

فإياك أن تكون كذلك فإن الذي يصنع هذا، الذي يُصر على الذنب .. ومن ثم يعمل بعض الأعمال كالمستهزيء بربه.

هل أنت تستهزيء بالله؟!! ... إياك ..

أنا هنا أتكلم عن أمر آخر؛ أتكلم عن شخص ضعيف أمام الذنوب، مفتقر إلى الله عندما يفعل الذنب يدعو الله بأن يغفر له ويخرج صدقة ليكفر عن ذنبه هذا .. فهذا الشخص يريد استدراك أمره .. وليس الذي يفعل هذه أمام هذه .. إياك أن تفهم هكذا ..

القصة الثانية وهي مهمة جدًا وكثير لا يعلم كواليس هذه الحادثة: روى الترمذي والنسائي بإسناد حسن قصة أبي اليسر كعب بن عمرو الأنصاري .. "كان هذا الصحابي يبيع تمر في المدينة فجاءته امرأة حسناء جميلة تشتري منه التمر، وكان زوجها قد خرج غازيًا في سبيل الله – فوسوس له الشيطان وزين له أن يقع بهذه المرأة .. افتُتِن، فهو بشر وقد يقع في تلك المعاصي كباقي البشر – فقال لها: إن في البيت تمرًا أطيب منه – قال لها: عندي في البيت النوع الأجود رقم 1 – فدخلت معه في البيت، فأهويت إليها فقبلتها – فقبلها وباشرها دون أن يصل إلى الفاحشة .. وقع منه هذا الجُرم .. ثم بعد ذلك ضاقت عليه الدنيا – كما قصصنا من قبل قصة الرجل من بني اسرائيل؛ لأن الشيطان في تلك اللحظة يجعلك تتوه وتكون غافل لكن عندما تعود مرة أخرى تندهش: ياالله هل أنا فعلت هذا؟!! أنا صحابي وتربية النبي ﷺ كيف هذا !! – فذهب أولاً إلى أبي بكر وأخبره، فأبو بكر قال له: استر على نفسك وتب ولا تخبر به أحدًا – استر نفسك .. لكن أبا اليُسر لم يستطع أن يصبر فذهب إلى عمر، فقال له عمر: استر على نفسك وتُب ولا تخبر به أحدًا، لكنه لم يصبر – فذهب إلى النبيﷺ فذكر له ذلك، فقال له النبيﷺ: أخلفت غازيًا في سبيل الله في أهله في مثل ذلك – يا رجل تلك امرأة صديقك، امرأة أحد الصحابة، امرأة مجاهد، تضيع دينك وحالك لأجل شهوة عابرة .. فتقطع قلب أبا اليسر، وتمنى لو أنه لم يكن أسلم ..

فتقول أنت هنا الناس في الجاهلية عندما يُسلم "الإسلام يَجُب ما كان قبله " [صحيح الجامع (2777)]، سيدنا عمرو بن العاص عندما قال له النبيﷺ: ابسط يدك لأبايعك فسحب يده وقال وفجراتي؟! فقال أما تعلم أن الإسلام يَجُبُ ما كان قبله .. فالرجل الذي كان كافرًا ودخل في الإسلام كل ما مضى محي له، الرجل التائب لا ..

قال: فتمنى ألا يكون قد دخل في الإسلام بعد، حتى عندما يدخل في الإسلام يدخل طاهرًا ناقيًا – تمنى ألا يكون قد أسلم إلا الساعة، ظن أنه من أهل النار، ثم أطرق رسول اللهﷺ طويلاً – النبيﷺ سيتزل عليه الوحي، وبدا عليه الأمارات التي كانت تظهر عليه عندما يأتيه الوحي – وأنزل رأسه إلى صدره حتى أوحى الله إليه {وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ} [هود:114] فقرأها رسول اللهﷺ على أبي اليسر ففرح فرحًا شديدًا، ثم قال بعض الصحابة: يا رسول الله، ألهذا خاصة أم للناس عامة، قال: بل للناس عامة" [رواه الترمذي وحسنه الألباني]

لأن تلك المعاني الإيمانية وقرت في قلب أبي اليسر وندم وتاب، وذهب لأبي بكر وعمر ثم للرسول وتقطع قلبه { إِلاَّ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [التوبة:110]

فتقطع قلبه، فنزلت بسبب هذا الرجل، بسببه نزلت {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ }.

بالله عليكم نحن نظل لمتى نترضى على هذا الرجل؟ بسببه نزلت {إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ }

بسبب جريمة وجريمة خطيرة جدًا، ولكن أعقبها منحة إلهية لنا كلنا وأصبحت للناس عامة .. رضي الله عنك يا أبا اليسر .. لذلك تستفيد من هذا تغيير طريقة التفكير التي ذكرناها من قبل.

5– وهي الخطوة الخامسة والأخيرة في توليد ذلك المعنى في أول طريق التوبة:

5) عليك أن تتذكر فجأة الموت وحسن وسوء الخاتمة.

اسمع بقلبك واسرح في الآخرة لا في الدنيا، اسمع

{وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ} [المنافقون:10]

الحق قبل فوات الأوان هذا ما تقوله لك الآية.

{حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ.. } [المؤمنون:99/100]

الْحَق قبل فوات الأوان، قبل أن تتمنى أن تعود فلا تعود فيقال لك:

{..كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [المؤمنون:100]

تخيل أن هذه اللحظة والأعمال بالخواتيم اللحظة الأخيرة، الأنفاس الأخيرة .. هل سيكون كصاحبنا الذي انقلبت به السيارة وهو ذاهب إلى شرم الشيخ، أم ستكون كصاحبنا الذي تعاطى من المخدرات جرعة زائدة؟!!

اللحظة الأخيرة ستكون وأنت غافل ساه؟!! .. كيف ستكون اللحظة الأخيرة؟

أحد الشباب بالأمس كان يتكلم معي فيقول لي: أنا جالس على الإنترنت والساعة 1ونصف مساء وشاهدت مواقع إباحية وفعلت أشياء سيئة، ثم أقسم لي بالله – هو مترله مكون من طابقين – نظرت أغلقت اللاب توب وإذا شيئًا ما تحطم – وكان ذلك الأخ متزوجا من فترة بسيطة – وإذا بالمطبخ أصبح فتات .. في الوقت الذي أغلق فيه اللاب توب ..

يقول: وأنا كنت أنتوي أن أسافر لحضور فرحًا في لبنان وحدي وهو صديقي، فعندما حدث ذلك للمطبخ بعد معصيتي خشيت أن تكون المرة القادمة أكثر من ذلك فقلت لنفسي لن أذهب.

فيكمل ويقول: قالت لي أمي اليوم التالي هل لا زلت تنوي الذهاب للبنان، فقلت لها: لا، تبت لن أذهب لبنان.

فقالت لي : هناك مشاكل بسبب حسن نصر الله هناك إياك والذهاب.

فقلت: لا لن أذهب مرة أخرى .. فقال لي باللفظ: (إنذار على يد مُحْضر)

من الممكن أن تكون لحظة الختام .. لحظة ختام تنتهي بذلك.

✍ حكى أخ لي في الدعوة أنهم نادوا عليه قائلين تعال لفلان الفلاني، تعال لتغسله .. فوجد الشباب مجتمعين في حالة جَلَب ومشاكل وفوضى، ما الحكاية ؟ .. قالوا: أنت لا تعرف كيف مات ؟

مات وكان يمارس العادة السيئة وباب غرفته مغلق عليه، فبعد لحظات طرقوا عليه الباب فلم يرد أحد .. دخلوا وجدوا المني على فخذه ومات .. سوء خاتمة.

هل تتمنى ذلك ؟! .. أن تموت بتلك الخاتمة؟!!

إيــاك .. فلا تعرف متى هي اللحظة الخاتمة.

وعلى النقيض تمامًا – وستكون مسك الختام – انظروا تلك القصة لحسن الخاتمة لنغلق الموضوع وعندنا حسن رجاء في الله سبحانه وتعالى.

قصة لحُسن الخاتمة

يقول: كنت أجلس في مكتبي بعد أن فرغت من صلاة العشاء، في إحدى الليالي الطويلة في بلد من بلاد أمريكا، كنت طالبًا وأمسيت مستغرقًا وأنا في الدرس .. وبينما أنا كذلك، والهدوء مخيم، والصمت مطبق، لا يقطعه سوى صوت ابنتي الصغيرة وهي تلعب، وإلا وصوت المطر المتقطع، وبينما أنا كذلك إذ برنين الهاتف يتسلل بين تلك اللحظات وإذا هو أخ لي في الله يدعى (شكيم) .. وبعد التحية والسلام أخبرني بحادثة غريبة وسعيدة في آن واحد.

فقد كان لزوجتي الأمريكية المسلمة التي تدعى (كريمة) خالة على ديانة النصارى وقد أُخِذت هذه الخالة إلى مستشفى من المستشفيات، وبعد تشخيص حالتها لم يستطع الأطباء إخفاء الحقيقة فالمرأة ميؤوس من حياتها وهي مفارقة لا محالة للحياة .. والأمر ساعة أو ساعتان على الأكثر وتموت.

ثم ذكر لي ما جرى له ولزوجته وأنا في ذهول تام أستمع إليه، **قال:** تحدثت مع زوجتي في حال خالتها – خالتها النصرانية – وتشاورنا في إجراء محاولة أخيرة ندعوها فيها إلى الإسلام، ولو بقي في عمرها ساعة ما دام لم تغرغر الروح.

قال صاحبي: فاستعنت بالله ودعوت الله، وصليت ركعتين ودعوت الله لها بالهداية وأنا في السجود .. وشُرِح صدري لأن أتكلم معها، وقلت: العبد أقرب ما يكون من ربه وهو ساجد.

ثم اتجهت أنا وزوجتي إلى المستشفى، وعرضت على خالتها الإسلام وأخبرتها أن الإسلام يَجُب ما كان قبله، وأن الله يغفر الذنوب جميعًا.

وإذا بها تقول (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) خالصةً من قلبها.

غير أن تلك المرأة المريضة فقدت القدرة على الكلام، فطلبت زوجة صاحبي بفطانة وحسن تصرف من خالتها أن تنطق بالشهادتين في نفسها – استخدمت معها لغة الإشارة – وإذا بها ترفع يدها بالإشارة كما علمتها تلك المرأة المسلمة.

وبعد أن وضحت لها معناها بالإنجليزية، فقالت لها: قولي بقلبك (أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) .. ثم كانت لحظات حرجة على هذه الفتاة فقد كانت تتمنى لخالتها النجاة من النار .. من { نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ} [التحريم:6]

ومع دقات القلب المتسارعة إذا بحركة يد المرأة المريضة تتحرك، بدأت ترفع يدها بعد أن سمعت تلقينها الشهادة وإذا بها تتبسم وتعلن رضاها وقبولها دين الإسلام .. وما هي إلا ساعات وفارقت الحياة وقد قالت (أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) بقلبها.

هل تعرفوا أن أحد الناس قبل أن يموت كان يقول "عليكم السلام ورحمة الله وبركاته" ورددها مرارًا وضحك ثم قال (أشهد أن لاإله إلا الله وأن محمدًا رسول الله) ثم مات؟

تعرفوا ماذا كان عمله ؟ .. هذا ما ستعرفونه في اللقاء القادم إن شاء الله..

أقول هذا القول وأستغفر الله لي ولكم..

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللهم صلِ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

